صدى اليوبيل

Echos du Jubilé .

كلمة رسالة قلب يسوع

(العراق) ، في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٨ اجتمع في دار رئيس الوزارة جمهور من الوزراء والنواب والاعيان والادباء للاحتفال بيوبيل الاب انستاس ماري الكرملي ، اللغوي الشهير ، اقراراً بفضله على اللغة العربية .

عن رسالة قلب يسوع السنة ١٠ (ك ٢ سنة ١٩٢٩) ص ٤٣ .

يوبيل الاب انستاس الكرملي

اقام فريق من ادباء العراق ، وفي مقدمتهم الشاعر البغدادي جميل صدقي الزهاوي ، حفلة يوبيل الاستاذ المبرور الاب انستاس [ماري] الكرملي الذي خدم اللغة العربية زهاء ربع [اقراها : نصف] قرن في ذاك القطر . وقد اقيمت الحفلة في دار عبد المحسن بك السعدون ، رئيس الوزراء ، واشترك فيها الكثيرون معترفين بفضل الاب المذكور على اللغة وعلومها في عصرنا .

فمجلة « المشرق » تضم صوتها الى اصوات مكرمي العلم ، وتهنىء من كان يتحفها بمقالاته النفيسة في اللغة والادب ، بيوبيله مئتية له سنين مديدة يواصل فيها بتقدم ونجاح ابحاثه المفيدة . (عن المشرق ٢٦ : ٩٥٠)

يوبيل الاب انستاس ماري الكرملي

يسرنا ان نرفع الى حضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس ماريا (كذا والصواب ماري بتشديد الياء ، اذ هكذا تريد ان يكون اسمنا) الكرملي التهاني الخصيصة بيوبيله الذهبي . فقد خدم اللغة العربية خدمة تذكر فتشكر في العراق وفي جميع البلاد الناطقة بالضاد . وقد طالعنا بلذة العدد الاول من « مجلة لغة العرب » لسنتها الرابعة وهو مشحون كله بما جادت به قرائح الشعراء والكتبة على اختلاف مذاهبهم في وصف جهود هذا الاب الغيور ، فنسأل الله جل وعز ان يمتعه بصحة ليواصل هذه الخدم الجليلة تعزيزاً للدين والوطن واللغة العربية .

عن مجلة الآثار الشرقية ٣ : ٤١٧

تهنئة المقتطف

(لغة العرب) اوردنا مقالة في المقتطف بعنوان «اداة التعريف في التاريخ» فكتب صاحبه هذه الكلمات ليعرف قراءه بصاحب المقال فكتب هذه الكلم :

« العلامة الاب انستاس ماري الكرملي ، صاحب هذا المقال الفريد في بابه — نابغة في العلوم العربية ، وقد خدم اللغة وتاريخها وفلسفتها وفيلولوجيتها خمسين سنة خدمة صحيحة لا يشوبها رغبة في منصب او نشب ، فاجمع افاضل العراق ووزراؤه وعلماؤه واداؤه وجمهور كبير من مستشرقي الافرنجة ومريدي العلامة من علماء مصر وسورية وفلسطين وغيرها من الاقطار على تكريمه في حفلة اقيمت في ٧ اكتوبر الماضي في دار رئيس الوزارة العراقية وبرآسة وزير معارفها الهمام . فهنيئاً للاب العلامة — ويسرنا ان تنشر لابناء العربية والمشتغلين بعلومها هذا المقال النفيس من قلمه في نشوء اداة التعريف مثالا لمباحث الاب المستفل به واذاعة « لفضله » انتهى بحروفه .

اتيتك متأخرا

كتب الينا احد علماء البندكتيين الالمانيين في مونيخ بتاريخ ٢٧ ك ٢ سنة ١٩٢٩ ما هذا حرفه العربي ما عدا ما حذفناه من عبارات التبجيل والتعظيم :

الى حضرة الفاضل الاعلم ذي المجد الظاهر الاب انستاس ماري الكرملي المحترم اطال الله بقاءه

... قرأت في صحيفة المانية مقالة تذكر شيئاً غير يسير عن اشتغالكم بالعلوم العربية وتوغلكم في ادبياتها ولغوياتها ، وتروي المفاخر والمآثر التي امتزتم بها ، والتكريمات والتعظيمات التي حظيتم بها في ٧ ت ١ من السنة الماضية في بغداد المحروسة اذ قرأنا في الجريدة المذكورة ان رجال الحكومة وابناء العلم واصحاب الفنون الفتانة اجمعوا على الاقرار بفضلكم الذي لا ينكره كل ذي فضل خال من عمى الغرض .

والآن اتيتكم — ولو متأخرا — لاقدم اليكم التبريكات اللائقة بشخصكم الكريم واني اسر بمكارم اخلاق العراقيين لاتفاقهم على تكريم من هو اهل للفضل والفخر [وهنا عبارات والقاب ضخمة] وقد سمعت هنا عن حضرتكم من

الدكتور بركشتسر Bergstasser الاستاذ الشهير في كلية مدينتنا مونيخ انه يعجب بعلمكم الزاخر وآرائكم اللغوية الطريفة لانه يطالع « لغة العرب » بكل حرص ولذة ، وهو من اشهر عارفي العربية والالسن السامية في عصرنا وقد قرأت عليه شيئا كثيرا من كتب فلاسفة العرب وتعساتهم واخذت عنه اصول السريانية ... ومن الذين يعترفون بعلمكم وتضلعكم من اللغة العربية الدكتور كراف Graff وهو قسيس كاثوليكي من احسن عارفي الادبيات العربية النصرانية في ديار الافرنج . وقد الف كتابا بالالمانية عن لغة العرب النصارى ولا سيما لهجتهم ودفع الي نسختين كتاب خطي موضوعه : « مجادلة او محاورة بين الراهب سمعان وثلاثة من المسلمين » وطلب الي ان انقله الى الالمانية وانشره واذا وفقت لاتمام نقله اعرضه على نظركم لتروا رأيكم فيه لان ما تقولونه فيه يكون حجة لا تنكر . كل ذلك لان اساتذتي قد طبعوا في نفسي تقدير علمكم ورسوخ قدمكم في لغة الضاد المحبوبة الواسعة في بحار مبانيها ومعانيها وارجوكم في الختام ان تقبلوا عذري وتغفروا لي تقصيري وحفظكم الله منارا وهدى لمن استهدى بكم .

الاخ تيلو بنرث البندكتي

Fr. Tilo Binnerth, O. S. B.

كتاب يوبيل الكرملي

لا مشاحة في ان اتفاق العلماء ورجال الحكومة والسياسة من كل المذاهب والاحزاب على تكريم احد رجال العلم الذين خدموا وطنهم هو البرهان الساطع على اهليته واستحقاق النائل الاكرام ودليل واضح على النهوض والرقي في تلك البلاد .

وما الاحتفال الشائق باليوبيل الذهبي للاب انستاس الكرملي الذي مضى باقامته في ٧ ت ١ سنة ١٩٢٨ ادباء بغداد وعلماؤها ووزراؤها اعترافا بالخدمات الجلى للغة العربية التي قام بها هذا الكاتب المعروف واللغوي المدقق نصف قرن إلا ليل حتى على النهضة الحديثة المباركة في العراق وعلى اهلية المحتفى به ورفيع مقامه في عالم العلم والادب فالاب الكرملي درس وبحث ونقب وكتب وعلم والف بنشاط

وامانة هذه السنين الطوال في اللغة العربية فاستحق ثقة وثناء ابناء هذه اللغة الشريفة .

اهدي الينا مؤخرا جزء اليوبيل الذي اصدرته مجلة لغة العرب وتصفحناه فوجدنا فيه ما جاء فيه من بليغ المنظوم والمنثور تقديرا جميلا لمواهب الاب الكرملي وعبقريته وغيرته على لغة العرب .

ويسرنا ان نرى انه قد اشترك في اكرام هذا العالم اما خطابة في حفلة اليوبيل او كتابة الى المحتفى به او على صفحات المجلات والجرائد ادباء العرب والفرس من العراق ومصر وسورية وايران . فمجلة الكلية تضم صوتها الى اصوات هؤلاء الادباء بالثناء الصادق على الزميل الكريم الاب الكرملي بعدة ماجاء في الكتاب من آيات الاعتراف بخدماته الثمينة وتسال الله ان يطيل عمره ليستمر نفعه بعلمه وادبه وفضله البلاد الناهضة ولسائر الاقطار العربية .

عن مجلة الكلية ١٥ : ٢٣٧

يوبيل الكرملي

والنهضة اللغوية الحديثة

كان وقت لم يحفل فيه احد بتكريم نوابغ الرجال بيننا الى ان اخذ الاستيقاظ الفكري يتمشى في بيئاتنا المتعلمة . فبدأنا حينئذ نلتفت الى هذا الواجب الاجتماعي فاهتم عظماؤنا بتكريم المرحوم العلامة سليمان البستاني معرب «الالياذة» وتبعت ذلك حفلات التكريم مناسبة وجديرة بالاعتبار . ثم جاء وقت اصبحت فيه حفلات التكريم مثالة تقام بمناسبة وبغير مناسبة لكل من خدمته الظروف ، سواء كان او لم يكن على جانب من المواهب المذكورة واخيرا في عهدنا الحاضر — عهد التيقظ الاتم — اخذنا نعنى بتكريم نوابغنا في مصر خاصة وفي العالم العربي عامة ولكن بميزان .

ولعل من اصدق المظاهر لهذا التنبه المحمود حفلة اليوبيل الكبرى التي اقيمت حديثا في بغداد لامام اللغة الشهير الاب انستاس ماري الكرملي ، وقد اشتركت في اقامتها الحكومة العراقية ورجال الادب في العالم العربي ومشاهير المستشرقين ولو كانت الحفلة في مدينة سهلة المواصلات لحضرها الجم الغفير من اهل العلم والادب من مختلف الاقطار ولكانت مؤتمرا ادبيا عظيما . ولما اكتفى الكثيرون اضطرارا

باعداد تمنياتهم الطيبة عن بعد . على اننا نرجو ان يكون لمصر حظ خاص في تكريم حضرة الاب الجليل بين ربوعها في المستقبل .

ولكن لماذا نعلق اهمية خاصة على هذا اليوبيل ؟ ليس ذلك لمنزلة فضيلة الاب المحتفل به فقط ، ولكن لظروفه الاجتماعية ايضا . فالاب الكرملي راهب متقشف يعيش في بيئة منقسمة الى شيع وطوائف دينية شديدة التعصب ، تنفر كل منها من الاعتراف بفضل من لا ينتسب اليها ، وكثيرا ما تستحل الطعن في اخيار الرجال مدفوعة بعوامل التعصب المذهبي الذميم !!! ولكن برغم كل ذلك لاقى الاب الكرملي من الحفاوة البالغة به ما دل دلالة صريحة على التيقظ الفكري السليم في العراق بل في العالم العراقي باسره ، وكان ذلك في دار فخامة رئيس الحكومة العراقية برعاية معالي وزير معارفها ، وباشراف كثيرين من الوجهاء والادباء وصفوة ابناء العراق على اختلاف مشاربهم وعقائدهم الدينية والسياسية .

❀❀❀

ولد الاب انستاس في بغداد في ٢ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٦ ، فهو الان شيخ جليل يناهز السبعين من سني حياته المباركة ولكنه ما يزال فتي في نشاطه وهمته وصفاء تفكيره وجلده العظيم وفي حب العمل المنتج ، واهبا نفسه هبة صادقة للغة والادب ، مستبقيا عهده الديني في تقشفه الدائم .

وقد انفق الاب الفاضل نحو خمسين عاما في تدريس العربية وآدابها ؛ فقد ظهرت علامات نبوغه المبكر وهو ابن ست عشرة سنة وحينئذ تولى التدريس في مدرسة الكرمليين ببغداد ، وكان قبل ذلك يقوم بالتدريس الخاص . وهذا نبوغ مبكر حقا ، ولم يكن نشاطه قاصرا على التدريس بل كان يكاتب طائفة من كبريات الصحف والمجلات في ذلك العهد كالبشير و « الضياء » و« المواهب » مهتما بالابحاث اللغوية والادبية . وفي سنة ١٨٨٦ م قصد المدرسة اليسوعية الاكليريكية في بيروت لتدريس العربية وفي الوقت ذاته كان يدرس اليونانية واللاتينية .

وقد اتم فضيلة الاب الكرملي دراساته الدينية ورهبنته في بلجيكة وفرنسة وبعد ان قضى عامين غادر فرنسة الى الاندلس ليطلع على مخلفات الحضارة العربية ،

ثم عاد الى بغداد فتولى ادارة المدرسة الكرملية وتعليم العربية والفرنسية فيها الى ان تفرغ اخيرا لابحاثه المستقلة العظيمة ولمجلته الشهيرة (لغة العرب) .

وقد زار المترجم مصر كما زار اوربة مرارا . وكذلك تجول في كثير من اقطار الشرق فاكتسب بذلك معارف شتى وخبرة واسعة بطباع الناس واخلاقهم وميولهم .

وافضل ما من الابحاث المبتكرة في كريات المجلات « كلقتطف » و « الهلال » و « المشرق » و « الزهور » و « المقتبس » و « المباحث » و « المنهل » و « الزهراء » و « فتاة الشرق » وغيرها ما كان ولا يزال موضع العناية والاجلال سواء كان بامضائه الصريح او بامضاء مستعار كما كان يفعل كثيرا زهدا في الشهرة . وحبا في خدمة اللغة والادب والتاريخ لذاتها .

وبعد الاب الكرملي عن جدارة الجمعة الثقة في فلسفة اللغة العربية وشيخ أئمتها وما كان ذلك عن اطلاع كبير او عن ذاكرة نادرة فقط بل كان اولا لعبقريته المبتكرة الفذة . فاذا اردت دليلا عليها في مجال البحث المستقصى المشبع بالتحليل والذكاء والاستنتاج العميق فحسبك ان تقرأ ما كتبه عن « أداة التعريف في التاريخ » كمثال لمباحثه الجليلة التي لم يسبقه اليها باحث ولم يلحقه فيها مجتهد : واذا اردت نموذجا لنقده اللغوي الدقيق الممتلئ بالانصاف والاحكام فحسبك ان تقرأ ما كتبه في نقد معجم « البستان » . وهذه مجلته (لغة العرب) مفعمة دائما بالكثير من مباحثه النقدية الثمينة .

وقد ادى تخصص الاب الكرملي في فقه اللغة العربية الى اهتمامه بلغات شرقية قديمة وحديثة وتضلعه منها كاللغات الارمنية والعبرية والحبشية والفارسية والتركية والصابئية . وع عنك اللغات الاوربية القديم منها والحديث على السواء فاصبح دائرة معارف لغوية متحركة . وصار علما لا يسامى في منزلته ومعارفه الفذة الممتازة التي يستثمرها خير استثمار في جميع كتاباته ومباحثه .

وقد نكب الاب الكرملي اثناء الحرب العظمى بتبديد مكتبته الكبيرة على ايدي الاتراك وبنفيه زمنا الى قيصري حيث لاقى صنوفا من الهوان والعذاب حتى اذا ما عاد الى وطنه الكبير غير يائس على اصلاح ما اتلفت ظروف الحرب والسياسة

مجدداً قدر الطاقة مكتبته، ومضاعفاً جهوده لخدمة اللغة العدنانية . ورغم مكانته العالية في جميع المحافل الادبية واللغوية وسعي دوائر المستشرقين التي كثيراً ما ترجمت مقالاته الى الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية والايطالية والاسبانية فانه لم يقو على نشر تآليفه وهي كثيرة حتى اذا استثنينا منها ما عبثت به ايدي الغزاة اثناء الحرب العظمى حين تبديد مكتبته ونفيه مع من نفي من كرام العراقيين ومن أهم تآليفه (غير تصحيح المعاجم الكبرى وغير اشتراكه في تهذيب تآليف جمة نشر ونشرت في الشرق العربي وفي اوربة) هذه الاسفار القيمة : «جمهرة اللغات» و «كتاب الجموع» و «كتاب السحائب» و «الدرر النواضر» و «العرب قبل الاسلام» و «شعراء بغداد وكتابها» وكلها تتناول من مباحث اللغة والادب ومسائل التاريخ ما يمتاز بالابتكار والتعمق والاستقصاء بحيث تسد فراغاً عظيماً في ثقافتنا اللغوية والتاريخية ، ويبلغ مجموع مؤلفاته نحو ثلاثين كتاباً جديرة كلها بالشيوع والاجلال . ولعل اهم ما يعنينا منها معجمه الكبير الذي ضمنه ما ذكرته المعاجم القديمة وما اغفلته ويجب ان لا ننسى ايضاً فضله العظيم في وضع الفاظ جديدة لكثير من المسميات الحديثة . نستعملها تكراراً دون ان نعرف مبدعها المتواضع المتواري ونعلم اشهرها لفظ «برقية» لكلمة (تلغراف) . ولفظ معلمة لكلمة (انسيكلوبيديا) .

ومن المصريين الذين كتبوا عن الاب الكرملي كتابة تاريخية ذات تحليل فلسفي الاستاذ احمد الشايب الذي عد الكرملي في العراق بل في الشرق العربي مدرسة قائمة في شخصه يقابلها في مصر دار العلوم . وعندنا ان الاب الجليل اسمى من ذلك . وحسبك ان تطلع على آثار المستشرقين ومجلاتهم وعلى جميع الكتب العربية المحققة الهامة التي صدرت في اواخر القرن الماضي وفي هذا القرن لترى النفوذ اللغوي والادبي للعلامة الكرملي مبثثاً فيها ، حينما لا تجد شيئاً من هذا لاساتذة دار العلوم ... فلا عجب بعد ذلك اذا كانت سيرة هذا اللغوي الكبير مجلة في الغرب وموضوع كتابة امثال كراتشكوفسكي المستشرق الروسي ، وغريفيني المستشرق الايطالي ، كما انها موضوع إجلال كل عربي يبجل العلم النزيه غير متأثر بالتعصب الاعمى لجنس اودين او مذهب .

❀❀❀

وبعد هذا ، فما هو اثر الكرملي في نهضتنا اللغوية الحاضرة ولماذا يكون ليوبيله ميزة خاصة ؟

وعندنا ان الاجابة على هذا السؤال الوجيه ميسورة وخليقة بالاهتمام بها ، فلنجملها في النقط الآتية :

(١) الاب الكرملي مثال لرجل العلم اللغوي الصادق الذي يقدس النزاهة العلمية غاية التقديس : وحسبنا ان نذكر مناقشته التاريخية الحادة للاب لويس شيخو اليسوعي حينما نسب النصرانية خطأ الى بعض شعراء العرب وادبائهم، فأبت ذمة الاب الكرملي النصراني ان يقبل ذلك انصافا للعلم والتاريخ ، وهذه الصفة النزيهة متجلية في جميع كتاباته بحيث انه يتساوى امامه في مجال النقد الاصدقاء وغيرهم على السواء . وهذا ما جعل الكرملي قوة صالحة في النقد وكون لارائه المستقلة قيمة ثمينة في عالم الادب كما خلق له كثيرين من الخصوم بين الجهلة والمغرضين واهل الادعاء الكاذب .

(٢) الرجل فضل لا ينكر في حركة النشر اللغوي والادبي الصحيح شرقا وغربا ونظن الاساتذة احمد زكي باشا واحمد تيمور باشا والدكتور محمد شرف بك وامثالهم في مقدمة من يشهدون بذلك وهذا ما يجعل العالم العربي باسره مدينا لفضله العميم .

(٣) وضع الاب الكرملي قواعد جديدة للبحث والنقد اللغوي . ولدراسة فقه العربية تنم عن ذكاء عظيم ومقدرة فائقة . فشجع الابتكار في الدرس والبحث وقضى على اساليب القدامى النقلية التي جنت شر جناية على ثقافتنا اللغوية وأطالت اسرها في سلاسل التقليد .

(٤) قضى الاب الكرملي على التقطع اللغوي وبرهن برهانا عمليا على ان العالم اللغوي يجب ان لا يتجرد من صفات الكاتب الاديب العصري وهذا ما يمتازبه اسلوبه دون غيره من اللغويين المتحذلقين وان لم يدانوه معرفة وذكاء .

(٥) عاش الرجل طول حياته الثمينة العامرة مثال النزاهة والشمم والاخلاص الكلي لما وهب نفسه له . فاستحق بتضحياته المتنوعة المتواصلة إكبارنا الاوفى .

عن مجلة « العصور » جزء مارس ١٩٢٩ ص ٣١٩